وكما انَّ العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الثاء الفارسيَّة المثلَّثة الفوقيَّة باء موحَّدة تحتيَّة اي Βαργοί سَهُل سبب تعاقب الثاء والباء والكلمة هي في الاصل Warg بمعنى المنفيّ فقال العرب فيها « بَرج » ثمَّ توهموا فيها الافراد فجمعوها على فُعلان فقالوا فيها « بُرجانًا » كما قالوا في جمع ظهر ظهرانًا (١ . واذ قد علمت ذلك فارجع الآن الى مؤرخي العرب وقابل كلامهم بما ذكر الافرنج عن الـ Varègues فانك لا تتمالك عن ان تقول عنًا :

اذا قالت حذام فصدّقوها فانَّ القول ما قالت حذام

(المشرق) اننا نشكر حضرة الاب انستاس على هذه النبذة النفيسة لاسيما ما كتبهُ عن اللان واللاء والفرق بينهما . امَّا قولهُ عن البرجان فمع تسليمنا بصحَّتهِ في مواقع كثيرة لا نظنُّ انَّهُ قطعيٌّ فانَّ المستشرق الشهير دي كاترمير اورد في تاريخ المغول (١ : ٤٠٨) شواهد لا تنطبق على غير بلغار نهر الطونة منها قول المسعوديّ عن يوستنيان الثاني الاخرم انَّهُ لاذ بتاوفيل ملك البرجان . والكتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار ل . ش

غزير

موقعها وابنيتها القديمة

بقلم جناب نجيب افندي فارس باخوس الغزيري

غزير لفظة سريانيَّة (٢ معناها « مقطوع » وهي كذلك لانها مفصولة من كل ناحية عمَّا يجاورها من القرى بادية وهضاب . وقيل انها لفظة عربيَّة معناها « كثير » لغزارة مياهها وهو قول بمكان من الضعف . وهي مبنيَّة على منحدر رابية منبسطة وبيوتها منضَّدة بعضها فوق بعض على شكل نصف دائرة (amphithéâtre) . بحيث يستطيع الناظر اينما وقف ان ينعم النظر ببهجة المناظر الطبيعيَّة التي خصَّها بها الخالق . ولا جرم انها من اعظم قرى لبنان اتّساعًا واخصبها تربةً واطيبها هواء واغزرها ماء ترتفع عن سطح البحر زهاء ٣٥٠ مترًا . امَّا عدد سكَّانها فيبلغ ستة آلاف الَّا انَّ

١) ولعلَّ العرب اشتقُّوا اسم البُرْجان من اسم آخر شائع لهم هو Warangiens او Warngues

٢) غزير : اسم مفعول اي مقطوع . وقد وهم صاحب جغرافية سوريَّة وفلسطين بقولهِ ان معناها قطيع الغنم (راجع المشرق ٢ : ٤٧٥)

كثيرًا منهم ترحوا الى الديار الاميركيَّة تحصيلًا للمال فنجحت مساعيهم وبعد عودتهم بنوا فيها الدور الانيقة وشيَّدوا تحت سمائها المنازل الفسيحة

ومن ابنية غزير التي تستوقف النظر بقدمها اكثر من سواها دير الكبوشيين الذي كان دارًا للامراء من آل عسَّاف وسيفا وشهاب فسكنوها مئات من الاعوام وكانوا ولاة الاحكام في غزير وكل المقاطعة الكسروانيَّة لذلك العهد. والحق يقال ان موقع هذا البناء هو من احسن مواقع غزير وأبهجها للنظر

غير ان هذا الدير كان قد بنى معظمهُ سنة ١٥٧٢ م احد الامراء المسلمين السافيين (١ المشار اليهم وهو الامير منصور عسَّاف الذي جاء غزير من الزوق (قرب جونية) لمَّا ان صدرت الارادة السلطانيَّة بمدّ ولايتهِ من نهر الكلب الى حماة وفُوّض اليهِ ان يعيّن «مقدّمين» او حكَّامًا في كلّ قرية. فجعلهُ دارًا لسكناهُ وللقضاء (٢. ولعنايتهِ بتوطيدهِ وتمكينهِ امر بان يعقد بالحجارة الكبيرة وان يُجعل عرض جدرانهِ نحوًا من ذراعين كما هو باقٍ الى الآن. غير ان كرور الاعوام قد اتزل بهِ بعض الوهن رغمًا عن متانتهِ فرمَّمهُ الآباء الكبوشيُّون ووطدوه منذ بضع سنين مخافة السقوط. وهم الذين شادوا فوقهُ (لا آل سيفا المسلمون كما يزعم البعض) طابقًا علويًّا وامامهُ كنيسة ذات قبَّة لا يفترق كلّ منهما في الهندسة والاحكام عن البنيان القديم

وبنى ايضًا الامير منصور الموما اليهِ بالقرب من الدار المذكورة برجًا اقام فيهِ حينًا احد أبناء عمّهِ المدعو منعمًا وقد جُعل هذا البرج فيما بعد كنيسة تُعرف عندنا «بسيدة الابراج». وقد جدَّد بناءها الخوري اسطفان حبيش سنة ١٨٤٧ وخصَّها ببعض أُسرتهِ

وبنى ايضًا على مقربة منهُ حيث ينتهي السوق المعروف عندنا الان «بسوق الجامع» جامعًا فسيحًا لهُ مأذنة تنطح الغمام (٣. ومات الامير منصور في غزير ودُفن في

---

١) ولي الامراء السافيون غزيرًا والمقاطعة الكسروانية مدَّة ٢٨٣ سنة (١٣٠٦–١٥٩٠م) وآخر من تولى القضاء منهم الامير محمد الذي قُتل بين البترون والمسيلحة وبهِ انقرضت سليلة آل عسَّاف كما سترى

٢) يذهب كثير من مواطنيَّ الى انَّهُ قد بنى ايضًا قسمًا من الطابق الاسفل من البيت الذي يملكهُ الان ورثة المرحوم الياس باخوس المجاور لمترلهِ المذكور وجعلهُ تابعًا لهُ وبنوا قولهم هذا على الشبه الموجود بين البنائين في الهندسة وصنعة البناء ٣) قيل انَّ الجامع المذكور كان مبنيًا في الموضع المشيَّد فيهِ الان معمل الحرير الجاري في ملك خليل افندي باخوس

القبّة (١. التي كان قد خصّصها العسّافيون بدفن موتاهم. وكانت مدّة ولايتهِ ثمانية وار بعين سنة (١٥٣٢—١٥٨٠ م) كان فيها مظهرًا للعدل والحزم. ومن الراهن الثابت انَّ غزير قد سكنها كثير من المسلمين كما يشهد بذلك بقاء اسم الحي المعروف عندنا الان « بحي المسلمين (٢ »

ثم خلَفَهُ في الحكم ولدهُ الامير محمد وكان هذا احضر معهُ من الاستانة بنّائين ماهرين لإتقان الدار والجامع المذكورَين واحكام بنيانهما على الطريقة المستحدثة في ذلك الحين. ويقول العلامة المؤرخ البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخهِ: « ان الدار المذكورة كانت من اجمل دور هذه البلاد وانهُ بلغت نفقة بنيانها زهاء ١٤ الف غرش » وتلك نفقة معتبرة عند ابناء ذلك العصر

وفي سنة ١٥٩٠ حشد الامير محمد عسكرًا وسار بهِ لمحاربة يوسف باشا والي طرابلس لخصومةٍ وقعت بينهما في المال الاميري فكمَن لمحمّد في الطريق بعض اعدائهِ وقتلوهُ عند اجتيازهِ بين البترون والمسيلحة وبهِ كان انقراض بني عسّاف

ثم ولي الحكم بعدهم سنين طويلة امراء سيفا المسلمون (١٥٩٣) واقاموا ايضاً بالدار المار ذكرها ولم يغادروا غزير الّا بعد احتراقها وذلك في اواخر سنة ١٧١١ ولحق بهم ايضاً اذ ذاك كل المسلمين الذين كانوا مقيمين في غزير. وحُرقت غزير على يد محمد باشا ابي هرموش الحاكم الذي كان مقيماً في دير القمر فقيل في تاريخ حريقها: « ندمت غزير »: سنة ١٧١١. وكان السبب في ذلك انهُ لمّا اراد الدخول الى غزير بعسكرهِ منَعهُ سكّانها فبقي سبعة ايام يحاول ذلك وهو لا يتمكّن من القرية حتى تضايق الغزيريون ووهنَت قواهم فبعثوا اليهِ يطلبون الصلح فقبل بشرط ان يدخل الى غزير ويسقي حصانه من جرن النبع المعروف عندنا الان « بنبع القنا » (وهو في اول « السوق الاعلى ») فلمّا دخل مكر بهم وامر بحرقها وقطع اشجارها ولم يبقَ فيها سوى بعض اشجار ميس مغروسة في الموضع المشيَّد فيهِ حاليًا دير الآباء اليسوعيين مع شجرة توت بالقرب من النبع المذكور كان قد رُبط فيها حصان محمد باشا الموما اليهِ. وكانت بيوت

---

١) وهذه القبّة اتّخذها بعد آل عسّاف امراء شهاب لدفن موتاهم ولم تزل قائمة الى الآن في الحيّ الذي يعرف عندنا باسمها « حي القبة » جنوبي غزير

٢) وهو في الجهة المناوحة للابنية التي مرَّ الكلام عليها

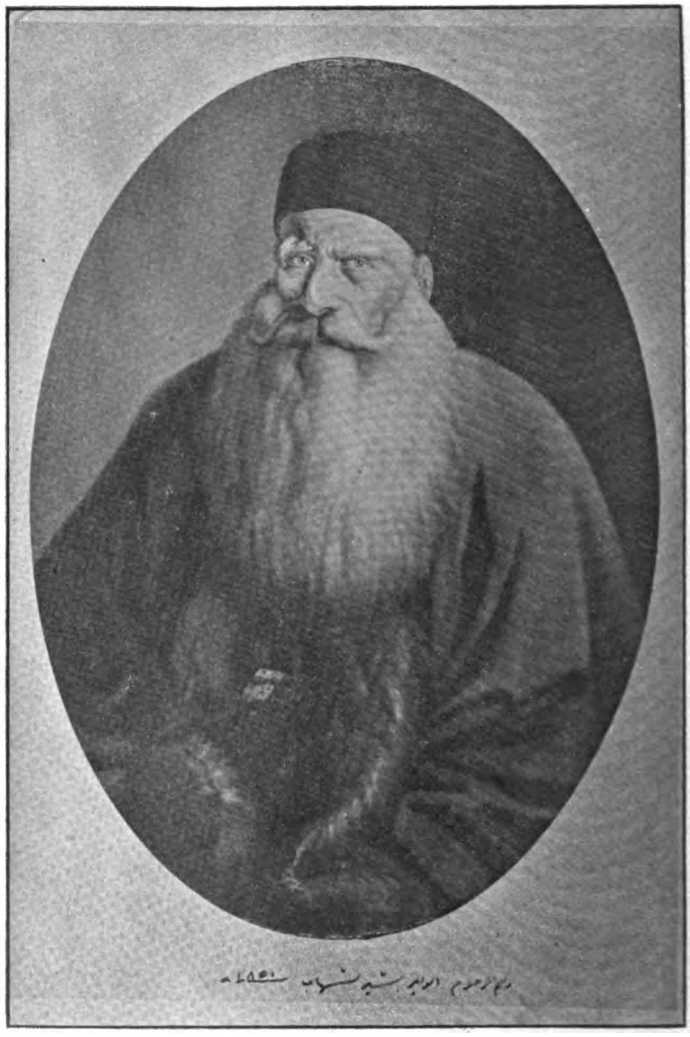

غزير لذلك العهد لا تزيد على سبعين بيتاً

اما المرسلون الكبوشيون فقد جاؤوا غزير من مدينة طرابلس سنة ١٥٨٣ وطلبوا من مشايخ آل حبيش ان يبيعوهم الدير المعروف الان بدير مار الياس للرهبان الانطونيين فأبوا لكنّهم سمحوا لهم ان يقيموا بهِ فسكنوهُ ٣٥ سنة . وهذا الدير لم يكن في بادئ امرهِ سوى كنيسة حقيرة عريقة في القِدم لا يُعرف اسم بانيها ثم رُمّمَت سنة ١٦٦٦ وبُني بجانبها بعض غُرف صغيرة الى ان جدَّد مؤخّرًا بناء هذا الدير رهبان مار اشعيا . ولم يقم الاباء الكبوشيون في ديرهم المعروف بهم الآن الّا سنة ١٧١٢ اي بعد ان غادره آل سيفا المسلمون . الّا انهم كانوا يهجرونهُ تارةً ويقيمون بهِ أُخرى

وفي ٦ ك٢ سنة ١٧٦٧ وُلد في قاعة هذا الدير المعدَّة الآن لاستقبال الزائرين الامير بشير قاسم (١ عمر شهاب الشهير الملقَّب «بالكبير» الذي حكم لبنان مدة اثنتين وخمسين سنة واشتهر ببأسهِ وعدالتهِ فعمّدهُ احد الرهبان الكبوشيين . وفي السنة التي ولد فيها توفي والدهُ ولهُ من العمر اربعون سنة . فتزوَّجت والدتهُ بعد بضع سنين باحد الامراء الشهابيين واصبح الامير بشير يتيماً وحُرم ميراث ابيهِ . ولمّا بلغ الثالثة عشرة من عمرهِ ترك غزير وخرج مسترزقاً لا يملك سوى فراشهِ وبعض ادوات لا قيمة لها حملها على ناقة يسوقها بنفسهِ وتوجّه الى عمّهِ الامير يوسف شهاب المقيم في حدث بيروت وقد تبعتهُ جارية سوداء كانت قد عُنيت بتربيتهِ طفلًا

ولمّا أُقيم حاكماً على جبل لبنان واضطرَّ ان يُسافر بعدئذٍ الى مالطة (٢ سنة ١٨٤٠ ومنها الى الاستانة حيث قضى نحبهُ منسيًّا (١٨٤٩) (٣ رافقتهُ في اسفارهِ الاب الورع المأسوف عليهِ الخوري اسطفان حبيش الغزيري احد تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومة وكان كل يوم يقدّم الذبيحة الالهيَّة في منزل الامير المشار اليهِ

ومن بنايات غزير دير الآباء اليسوعيين الحالي وقد كان دارًا للامير حسن شهاب شقيق الامير بشير المشار اليهِ . بناها الامير حسن المذكور لمّا كان حاكماً على كسروان وجلب اليها قسماً من ماء نبع المغارة في اعلى غزير وجعلها لاقامتهِ وللقضاء فيها . وكان الفراغ من بنائها سنَة ١٨٠٥ . وامام هذه الدار ساحة فسيحة تُعرف « بالميدان »

١) يريد ابن قاسم (المشرق) ٢) ولذلك يعرف عند الكثيرين « بالمالطي »
٣) توفي الامير بشير في ٢٩ ك ١ سنة ١٨٥٠ (المشرق)

لانها كانت ميداناً لسباق الخيـل ومباراة الفرسان. ثم مرض الامير حسن فعادهُ اخوهُ الامير بشير سنة ١٨٠٨ واقام عندهُ اياماً. ولمَّا ابلَّ من مرضهِ توجَّه واياه الى جبيـل فعاودهُ المرض فتوفي هنالك في الثالثة والاربعين من عمرهِ. فأُتي بجثتهِ التي رافقها الامير بشير الى غزير واحتفل بأتمهِ احتفالاً عظيماً ودُفن حيث دُفن والدهُ في القبَّة التي شيَّدها الامراء العسافيون. ثم وليهُ في الحكم ولدهُ الامير عبد الله وكان حديث السن فاقام لهُ عمُّهُ الامير بشير وصياً ومدبّراً لجميع اعمالهِ ابا انطون يوسف باخوس فشيَّد الامير عبد الله بالقرب من الدار التي بناها والدهُ محلاً للتجارة يسمَّى « قيسارَيَّة » وهو المحل الذي تسكنهُ الان راهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي تحت عناية وادارة الاباء اليسوعيين وقـد نُقش على مدخلها تاريخٌ نظمهُ الشاعر المرحوم نيقولا الترك وهو :

امرَ الاميرُ الشبلُ عبد الله في بنيان ما فيهِ يليق المتجرُ
واشاد « قيسارَيَّةً » تاريخها حاط الامان بها فبيعوا واشتروا

وفي سنة ١٨٤٤ ابتاع الاباء اليسوعيُّون تلك الدار مع القيسارَيَّة من الامير عبد الله على يد المرحوم جرجس يوسف باخوس بمبلغ ٢٠٠ الف غرش فاتخذوهما ديراً لهم بعد ان رمَّموهما وزادوا عليهما كثيراً ثم جعلوا هذا الدير مدرسة داخليَّة نشروا فيها لواء الدين والآداب في ديارنا الشرقيَّة فبعُد صيتها وخرج منها تلامذة اشتهروا بعلومهم ومعارفهم. فمنهم من عرَّبوا فأفادوا وكتبوا فاجادوا ومنهم من تقلَّدوا مناصب خطيرة وارتقوا الى درجات عالية نكتفي بالالماع الى كوكبي هذه الديار وفخر هذه الامصـار غبطة السيد الملفان الياس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيَّة وغبطة السيد بطرس الرابع الجريجيري بطريرك طائفة الروم الكاثوليك اللذين قضيا في هذه المدرسة اعواماً واللذين تتبـاهى بهما غزير وتتنافس

وفي السنة الماضية زار غبطة بطريرك الموارنة المشار اليهِ دير الاباء اليسوعيين فبات فيهِ ليلتين وسرَّ كثيراً برأى ما ذكَّرهُ بصباهُ القانت. وبالاجمال فان جميع تلامذتهـا السابقين يحفظون لها في قلوبهم اجلَّ تذكار

وقال في غزير احد تلامذتها السابقين الخوري يوسف الهاني الغزيريّ في « مقالتهِ الغزيريَّة » (١٨٧٢)

مسقط الرأس غزيرُ وألفنا فيها غزيرُ
وانا منهوك حبٍّ في هواها واسيرُ

جنَّة في الكون اضحت عن حماها لا اسيرُ
ماؤها ماءٌ زلالٌ حولهُ مرجٌ نضيرُ
قاطنوها وبنوها صاضم ربٌّ قديرُ

وفي سنة ١٨٧٥ نقل الاباء اليسوعيُّون مدرستهم الى بيروت فوسَّعوا نطاقها وجعلوها كليَّة فاستأجر مدرستهم في غزير رستم باشا متصرف جبل لبنان ونقل اليهـا مركز المتصرفيَّة في ١٥ ت ١ سنة ١٨٧٥ واستمرَّ الى نهاية شهر ايلول (١٨٧٦)

ثمَّ ان الاباء اليسوعيين عادوا الى ديرهم وزادوا في بنائهِ وتحسينهِ ثم بنوا فيهِ مؤخرًا كنيسة فسيحة الجوانب ذات قبَّة مرتفعة مربعة الشكل

ومنها مدرسة مار لويس في غزير المعروفة بالمزار (١ وقد كانت دارًا بناها الامير بشير الشهير لابن اخيهِ الامير عبد الله وجرّ اليهـا ايضاً قسماً من ماء نبع المغارة بقناة خصوصيَّة وفي سنة ١٨٧٩ اشتراها منـهُ ومن بعض الامراء الشهابيين الذين كانوا قد استولوا على بعضها المأسوفُ عليهِ الخوري لويس زوين وجعلها مدرسة داخليَّة سنة ١٨٨٠

وفي الجهة الجنوبيَّة من غزير دير مار انطونيوس لرهبان الارمن الكاثوليـك المعروف « بيت خشبو » وهو مشيَّد على سندِ يفاع بينهُ وبين غزير وادٍ مستفيض شجرًا وتاريخ بنائهِ يرتقي الى سنة ١٧١٨. وفي سنة ١٨٢٧ رمَّمهُ رهبانهُ وبنوا فيهِ سنَة ١٨٢٩ كنيسة تُعدُّ في بلادنا الى الآن من اجمل واعظم الكنائس. وقد اقاموا فيـهِ مدَّة ثمَّ هجروهُ ولم يُبقوا فيهِ سوى راهب قضى فيـهِ سنين طويلة ثم آجروهُ سنة ١٨٩٢ رهبانَ الكبوشيين الافرنسيين الذين غادروهُ في منتصف السنة الماضية واقاموا في القُرَيَّة حيث بنوا لهم ديرًا هنالك

وفي اعلى غزير منتزه عمومي يُعرف « بنبع المغارة » ينتـابهُ الغزيريون لاسيما في ايَّام الصيف ترويحًا للقلوب وشرحًا للصـدور. وان هو الَّا عبارة عن مسيل ماء يتدفَّق ويتموَّج قليلًا في مغارة صغيرة حُجز مدخلها باسلاك حديديَّة ثم يتوزَّع في انحاء القصبة فيستقي منهُ الجميع

واوَّل من جاب الى غزير مياهها التي كانت تسير فتصبّ في طبرجا الاميرُ منصور

١) انما دُعي هذا الموضع بالمزار لان المسلمين اذ كانوا مقيمين في غزير بنوا فيهِ مدفنًا لولي عندهم يعرف « بالوليّ خليل » كانوا يزورونهُ غالبًا فدُعي لذلك بالمزار

عسّاف الذى مرّ الكلام عنهُ بواسطة قنوات بُنيت بالكلس والتراب. ولمّا اراد الغزيريون مؤخرًا استبدال هذه القَنوات الترابيّة التي كان قد مرّ عليها نحو من ٤٠٠ سنة بقساطل حديدية عجبوا من صلابتها ومتانتها فكان العامل اذا ضرب عليها بالمعول كأنهُ يضرب على الصخر الاصمّ. وبالقرب من النبع المذكور جسر يُعرَف بجسر « الزلّاقات » بناهُ ايضًا الامير منصور المشار اليهِ

وفي سنة ١٨٦٣ رغب داود باشا المتصرف الاول على لبنان ان يمدّ طريق العربات الى غزير دون ان يدفع ابناؤها غرشًا واحدًا فابى وقتئذٍ الغزيريون وسكّان القرى المجاورة. ثم لم يلبثوا ان التمسوا الطريق المذكورة في عهد متصرفيّة رستم باشا فأُجيب ملتمسهم وشرعوا في تخطيطها فأُعيد مرارًا حتى انفقوا عليها مبلغًا وفيرًا لم يشاركهم في شيء منهُ سكّان القرى المجاورة المنتفعة بهِ

فهذا ما ثبت عندي صدقهُ وبان لي امرهُ بعد البحث والاستطلاع فذكرتهُ في هذه اللمحة التاريخيّة. وقد تجنّبتُ كلّ ما يلوح عليهِ شبه الريب والله من وراء الهداية

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

احببنا تتمّةً للفائدة ان نضيف الى المقالة السابقة ما عثرنا عليهِ من اخبار غزير فنقول :

لم نجد اثرًا لغزير في التواريخ القديمة على عهد الرومان وملوك القسطنطينيّة. ولعلّ اسمها السرياني (حمة اي المكان المنقطع) كان يدلّ اوّلًا على الناحية التي بُنيت بعدئذٍ فيها غزير (١. ويظنّ الاب مرتين اليسوعي صاحب تاريخ لبنان انّ جهات غزير وما يليها كانت في الزمن القديم غاباتٍ كبرى يغلب عليها شجر السنوبر والسنديان كما ترى حتى الآن في الامكنة المجاورة لها ويدلّ عليهِ اسم بيت خَشبو (ومعناهُ الغابة) القريب من غزير

١) ويزعم بعض المحدثين ومن جملتهم الاب مرتين اليسوعي انّ اسمها عربي فيهِ اشارة الى خصب تربتها. والله اعلم